أسباب اضمحلال الجمهورية الرومانية من خلال رواية "حرب كاتيلينا" لسالّوستيوس

وائل سلامة فايز سلام (*)

عزا الكتُّاب الرومان مشكلات روما السياسية خلال القرن الأخير من عهد الجمهورية الرومانية إلى فساد سلوكيات الأفراد وانحلال شخصية الفرد خاصة بسبب الطموح Ambitio والجشع Avaritia والترف Luxuria والشهوة الجنسية Libido . وهو ما سنراه جليا من خلال تقرير سالّوستيوس عن تلك الظواهر في مقدمة " حرب كاتيلينا"[١]. كما اهتم سالّوستيوس في جميع أعماله صراحةً وضمنياً بالانحدار السياسي والأخلاقي الذي أصاب الجمهورية الرومانية، ويرى سالّوستيوس أن هذا الانحدار بدأ بعد تدمير قرطاجة عام ١٤٦ ق.م. وهناك من لهم وجهه نظر مختلفة حول تحديد نقطة التحول في تاريخ الجمهورية الرومانية وحول أسباب هذا التدهور[٢]، كما سنعرض.

تبنى تيتوس ليفيوس باتافينوس Titus Livius Patavinus(59 ق.م-١٧م) هو الآخر تلك الحادثة على إنها نقطة التحول في تاريخ الجمهورية كونها بداية الاضمحلال، فقد كرس كتبه الخمسين الأولى لوصف توسعات روما الخارجية وصولاً إلى تدمير قرطاجة التي أعقبها إيلاء مزيد من الاهتمام لمشكلات روما الداخلية. وفي الوقت نفسه لم يكن ليفيوس غافلاً عن أهمية حملات جنايوس مانليوس فولسو Cn. Manlius Vulso في الشرق وعودته عام ١٨٧ ق.م. محمله بالغنائم التي رسخت لبداية الترف الأجنبي القادم من الشرق بما في ذلك أدوات الفساد المتعددة [٣]. الذي بدأ عام ١٨٧ ق.م. عندما رجع جيش مانليوس فولسو من آسيا والذي رغم انتصاره في المعركة إلا إنه رجع لروما بكل أشكال الترف التي ستلحق الضرر بالمجتمع أكثر من الحرب نفسها والتي ستفقد المجتمع قدرته على خوض عمار المعارك بعدما يكون قد ترسخ الترف وحب المسرات في قلوب المواطنين الذين هم عماد القوات

(*) هذا البحث من رسالة الماجستير الخاصة بالباحث، وهي بعنوان: [[النقد السياسي في "حرب كاتيلينا" لسالوستيوس]، تحت إشراف أ.د. هانم محمد فوزي سليمان – كلية الآداب – جامعة القاهرة.

1 Barbara Levick (1982)," Morals ; Politics, and the fall of the Roman republic, " Cambridge university press on behalf of the Classical Association, Greece and Rome , Vol.29.No1(Apr.)p.53.

2 Batstone William W.(2010), p.VII.

3 Barbara Levick,(1982).p53.

الرومانية وذراعها لبسط قوتها وهيمنتها خارج روما، فحينما اطلق الجنود الرومان العنان للترف ولإشباع رغباتهم العطشة وجدوا في الشرق ما كانت تتوق له انفسهم ومن ثم فقد احضروا تلك المظاهر إلى روما لدى عودتهم.

ويصف ليفيوس الترف بانه" اجنبي" peregrine في إشارة منه إلى حداثة وغرابة هذا النوع من الترف، فيبدو أن الرومان لم يعهدوا هذا النوع من الترف الذي احضره الجنود معهم من أسيا، وإنما اعتادوا على الفتوحات وتوسيع رقعة الدولة، فحياتهم امتزجت بالحروب بشكل كبير ولم يكن هناك وقت لأى نوع من الترف ولا الاستمتاع بالرفاهية في تلك الآونة من تاريخ الجمهورية الرومانية.

ويبدو أن حياتهم كانت بسيطة للغاية وهو ما دفع ليفيوس لكي يرى الأرائك البرونزية والأقمشة الفاخرة التي تكسوها وبساط الحوائط والمشغولات الصوفية والمناضد ذات القاعدة الواحدة وحتى أثاث غرفة الطعام من الرفاهيات وليست من أساسيات الحياة اليومية البسيطة والتي ألفها الرومان[1].

كذلك يوحى ليفيوس إلى أن القادم ربما يكون أكثر بل أسوأ من ذلك، وأن هذا الترف هو مجرد البذرة، فيقول :

uix tamen illa quae tum conspiciebantur, semina erant futurae luxuriae.(Liv.39.6.9)

" ومع ذلك فأن تلك الأشياء التي كانت تعتبر جديرة بالملاحظة كانت مجرد البذرة للترف القادم."

يعتقد ليفيوس أيضا أنه طالما بدأ الترف بتلك الوسائل فالقادم سيكون أسوأ، لأنها فتحت الباب أمام قلوب المواطنين الذين نشأوا على البساطة والاعتدال.

ويتفق سالّوستيوس مع ليفيوس حول الأسباب التي ساهمت في انحلال المجتمع الروماني وذلك عندما يصف سالّوستيوس عودة سولا منتصرا بقواته من أسيا، قائلاً:

quod L. Sulla exercitum, quem in Asia ductaverat, quo sibi fidum faceret, contra morem maiorum luxuriose nimisque

---

[1] "luxuriae enim peregrinae origo ab exercitu Asiatico invecta in urbem est. ii primum lectos aeratos, vestem stragulam pretiosam, plagulas et alia textilia, et quae tum magnificae supellectilis habebantur, monopodia et abacos Romam advexerunt."(Liv.39.6.7)

" لأن أصل الترف الأجنبي جاء إلى المدينة (روما) مع (قدوم) الجيش من أسيا. فقد ادخلوا إلى روما وللمرة الأولى أرائك من البرونز، وأقمشة قيّمة لتغطية الأرائك، وبساط للحوائط ومشغولات أخرى من الصوف، والمناضد ذات القاعدة الواحدة وأثاث غرفة الطعام وهو ما كان يعتبر في ذلك الوقت من الأثاث المترفة."

liberaliter habuerat. Loca amoena, voluptaria facile in otio ferocis militum animos molliverant.(Sall.Cat.11.5)

" وبالإضافة إلى كل ذلك فان لوكيوس سولّا ومن اجل ضمان ولاء القوات التي كان يقودها في أسيا، وعلى العكس من تقاليد أجدادنا فقد مكنهم من العيش بحرية ورفاهية مفرطة. وفي أوقات الفراغ فان أماكن اللهو والمجون قد أوهنت الروح المعنوية للجنود الجامحين."

بعدما عاد سولا منتصراً من أسيا وقبل أن يسرح جنوده ولكي يضمن ولاءهم، فقد أغدق عليهم الهبات والعطايا وضمن لهم حياة مترفة ورفاهية مفرطة، فما كان لتلك الرفاهية إلا أن أوهنت قلوبهم الجامحة التي لم تعرف الترف من قبل فقد كانت حياتهم تتبلور حول الأعمال العسكرية الشاقة.

وقد ذكر بوليبيوس Polybius خطر الاضمحلال والتدهور الأخلاقي[1] في فترة دمار قرطاجة عام ١٤٦ ق.م. الذي يرجع إلى أن الرومان بعدما قضوا على أعدائهم الخارجيين، عاشوا بعد ذلك حياة الترف والاسترخاء والجشع والسعي وراء تحقيق الطموحات الشخصية، وكذلك تحدث عن تدهور المعايير الأخلاقية وعدم الاكتراث بها، وبداية ظهور الترف وانتشاره في الدولة الرومانية منذ عام ٢٠٠ ق.م، وبصفة خاصة بعد حرب بيدنا Pydna عام ١٦٨ ق.م بعدما بسط الرومان نفوذهم وسيطرتهم وهيمنتهم على الممالك الهيللينستية الشرقية.

وبعدما انتهى سالوّستيوس من مقدمته الفلسفية وحديثه عن المجد والأخلاق والفضيلة وعن أفضل الطرق لخدمة الوطن والارتقاء بالنفس البشرية، يتحدث عن الوضع السياسي المزرى للمجتمع الروماني والفساد الأخلاقي الذي تفشي آنذاك في محاولة منه لوصف الأوضاع التي كانت تحيط به في المجال السياسي لكي يوضح أنه كان ضعيف و مسلوب الإرادة بسبب حداثة سنه في تلك الفترة من حياته[2]، إذ يشير سالّوستيوس في الفقرة الثالثة من الفصل الثالث إلى فساد الحياة السياسية في روما، والتدهور الأخلاقي الذي كان بدوره يساهم في إفساد أي شخص يرغب في الانخراط في سلك الوظائف الحكومية Cursus Romanum بسبب انتشار الفساد، والابتزاز، والجشع الذي مارسه نعظم الذين يمارسون العمل الحكومي وحل محل الفضيلة والأخلاق والاعتدال. كذلك يعترف سالّوستيوس انه عاش واندمج في ذلك الفساد الذي ساد في المجتمع الروماني آنذاك، ويبرر ذلك بانه كان شابا يافعا، وضحية فساد المجتمع، وضحية لطموحه كشاب صغير في مقتبل العمر يرغب في تدرج الوظائف الحكومية والسياسية.

يصرح سالّوستيوس في الفقرتين الأولى والثانية من الفصل الرابع انه لم يطق هذا الوضع المزرى وقرر أن يبتعد عن تلك الساحة الفاسدة طالما انه ليس

[1] Polybius,Hist.6.57;38.21f.

[2] Sall.Cat.3.3-5

هناك مجال للإصلاح واختار أن يخدم وطنه بطرق أخرى يرى إنها الأفضل للمجتمع[1]، واختار أن يعتزل الحياة السياسية التي ضاق بها ذراعاً لما فيها من فساد ومآسي وأخطار، وفضل ان يقضي بقية في الدراسة وكتابة تاريخ الشعب الروماني وتمجيده وتخليده، وتشير كلمة الأخطار **periculis** إلى قضية طرده من مجلس السيناتوس وتهم الفساد المالي والرشاوي التي حوكم بسببها، وبُرأ منها بفضل تدخل يوليوس قيصر ومساعدته الذي أعاده إلى مجلس السيناتوس مرة أخرى، وعينه قائداً على أحد الفيالق العسكرية التابعة له، وعينه بعد ذلك على ولاية أفريقيا لتحقيق أغراضه ومآربه العسكرية، وكذلك تشير كلمة المآسي **miseriis** إلى السبب الرئيسي الذي دفع سالّوستيوس لاعتزال الحياة السياسية، واختار مواصلة الدراسة وكتابة تاريخ الشعب الروماني وتمجيده وتخليده، ولم يفكر في الانخراط مهن وأعمال العبيد مثل الزراعة والصيد. وفي هذا الصدد ينتقد سالّوستيوس بعض رجال السياسة السابقين الذين اعتزلوا الحياة السياسية، وانهمكوا في الكتابة عن الزراعة والصيد مثل كاتو الأكبر **Cato Maior** الذي ألّف كتاب عن الزراعة، وبعض رجال السياسة الآخرين الذين استقروا وعاشوا حياة هادئة في منازلهم الريفية بدون عما بعد اعتزالهم الحياة السياسية مثل الدكتاتور سولّا.

وبعدما انتهي سالّوستيوس من تقديم نفسة يتوجه بعد ذلك إلى الشخصية المحورية في روايته ومن ثم يبدأ في الفقرة الخامسة من "حرب كاتيلينا" بالحديث مباشرة عن شخصية كاتيلينا ويبدأ بتنبيهنا أنه من أسرة أرستقراطية ثم يسرد بعض عيوب شخصيته وكذلك مميزاتها وكذلك العوامل والمؤثرات الخارجية التي طغت على شخصيته وجعلت منة ذلك الثائر الدموي، فيقول عن ذلك:

L. Catilina, nobili genere natus, fuit magna vi et animi et corporis, sed ingenio malo pravoque. Huic ab adulescentia bella intestina, caedes, rapinae, discordia civilis grata fuere ibique iuventutem suam exercuit.(Sall.Cat.5.1-2)

" ولد لوكيوس كاتيلينا لأسرة نبيلة النشأة، كان رجل قوي من الناحية العقلية والجسدية. لكن فطرته كانت فاسدة ومنحرفة، ومنذ بلوغه مرحلة الشباب وجد متعة في الحروب الأهلية وسفك الدماء والنهب والنزاعات السياسية فقد امضي شبابة وسط تلك الأحداث."

[1] Sall.Cat.4.1-2

ولعل أول ما يذكره سالّوستيوس عن كاتيلينا كونه نبيل المولد وهى تحمل في طياتها النقد للطبقات الأرستقراطية والنبيلة التي يخرج من بين أبنائها دمويين مثل كاتيلينا ثم يذكرنا أيضا بالحروب الأهلية والصراعات السياسية التي صبغت شخصية كاتيلينا، وهى نفسها الصراعات التي يدعى سالّوستيوس انه اعتزل الحياة السياسية بسببها.

يستطرد سالّوستيوس الحديث عن كاتيلينا بعد ذلك ويبدأ في سرد الأسباب الرئيسية التي شكلت شخصية كاتيلينا الإجرامية. فيذكر نحو ذلك:

Hunc post dominationem L. Sullae lubido maxuma invaserat rei publicae capiundae; neque id quibus modis adsequeretur, dum sibi regnum pararet, quicquam pensi habebat.(Sall.Cat.5.6)

" وبعد هيمنة سولا اصبح لدية رغبة عارمة في السيطرة على أمور الدولة، لم يكن يهتم بالكيفية التي سيحقق بها أهدافه طالما إنها ستضمن له حكماً ."

من احد الأسباب الرئيسية التي شكلت شخصية كاتيلينا وغيرت ملامح المجتمع الروماني من وجهة نظر سالّوستيوس هو هيمنة سولّا على مقاليد الأمور في روما التي زرعت الرغبة في نفوس أبناء المجتمع الروماني في السعي نحو التملك والسيطرة على غرار سولا.

وكلمة "حُكم" regnum تشير إلى الحكم الملكي وما يمثله من سلطة استبدادية وهى تشير أيضا إلى ثلاثة جوانب : أولا فترة حكم سولّا التي قُتل فيها الألاف من الرومان كان يطلق عليها Sullanum Regnum، ثانيا بالنسبة لشعب الجمهورية كان منصب الملك السياسي شيء بغيض وعلى النقيض من الحرية وشكل الحكم الذي توصلوا إليه بعد خمسمائة عام تقريبا من تأسيس المدينة. ثالثا: الإمبراطورية الرومانية يمكن اعتبارها "حكم يمثل سيادة الشعب الروماني" مستخدمة سلطاتها المطلقة على رعاياها، وعلى ذلك فان رغبات كاتيلينا كانت تمثل أسوأ وأفضل ما توصل إليه الرومان في الحكم[١].

ينتقل سالّوستيوس إلى الظروف التي كان لها التأثير المباشر على شخصيته فيخبرنا أن فقر أسرة كاتيلينا و شعورة بالجرم وبالأخص نشأته في مجتمع فاسد أخلاقيا بسبب تفشي الجشع و التبذير والتي بدورها تفاقمت بعد هيمنة سولا كل ذلك شكل شخصية كاتيلينا الفاسدة:

Agitabatur magis magisque in dies animus ferox inopia rei familiaris et conscientia scelerum, quae utraque iis artibus auxerat, quas supra memoravi. Incitabant praeterea

[1] Batstone William W.,(2010),p.157.

corrupti civitatis mores, quos pessuma ac divorsa inter se mala, luxuria atque avaritia, vexabant.(Sall.Cat.5.7-8)

" كانت روحة تندفع اكثر واكثر مع الأيام نحو العنف بسبب فقر أسرته وشعوره بالذنب، تلك الشرور التي تفاقمت بسب الممارسات التي ذكرتها سابقاً. بالإضافة إلى ذلك قد دفعة أيضا الانحدار الأخلاقي العام للدولة والتي فسدت بسبب الشرور الداخلية المدمرة والمتناقضة، الترف والجشع."

يحاول سالّوستيوس أن يخفف من وطأة الإدانة والهجوم على كاتيلينا ويبرزه على انه ضحية لفقر أسرته وانه ضحية مجتمعه الفاسد الذي تفاقمت فيه الشرور خاصة بعد هيمنة سولا والانحدار الأخلاقي للمجتمع، أيضا يشير سالّوستيوس إلى أن فساد المجتمع في تفاقم مستمر والذي بدورة يزيد من فساد الأفراد وها هو كاتيلينا خير دليل على ذلك.

يصف سالّوستيوس الوضع العام المتردي في المجتمع الروماني ولكي يبرز الظروف القاسية التي عانى منها كاتيلينا وجعلت روحة متعطشة للفجور والعربدة، ويتحدث في الفقرة التالية عن عظمة الأسلاف في السلم والحرب، ويظهر مدى فساد الأحفاد وتدهور المُثل والأخلاق الرومانية إلى الأسوأ[1]، وحتى قبل أن يشرع سالّوستيوس بالفعل في وصف العصور المبكرة من الجمهورية يظهر سالّوستيوس أن الجمهورية قد انحدرت إلى أسوأ مراحل الفساد والاضمحلال- خاصة بعد تدمير قرطاجة و عودة سولا وهيمنته - وانتشار الترف والرفاهية التي أشعلت نفوس المواطنين وركنوا إلى الملذات ومن ثم ساعد ذلك على تردي أوضاع المجتمع الذي تفشي فيه الجشع والترف والذي بدوره أنتج في النهاية كاتيلينا، ويضع سالّوستيوس كل ذلك في مقارنة مع النموذج المشرق الذي تركة الأسلاف ليضع القارئ أمام النقيضين بين عظمة الجمهورية التي تركها الأسلاف وبين مجتمع فاسد على وشك الاضمحلال، فقد تحولت الجمهورية الرومانية بالتدريج من النموذج الجميل المثالي إلى المثال الأسوأ والأكثر قبحاً في الانحدار الأخلاقي والتدهور السياسي.

يرى سالّوستيوس أن مؤامرة كاتيلينا ومحاولته لقلب نظام الحكم في روما تدل على انزلاق الجمهورية نحو الاضمحلال لأن أوضاع الجمهورية في نهاية القرن الأول قبل الميلاد تحولت من حياة التقشف والبساطة إلى حياة الترف والرفاهية والفساد [2].

ثم يفند سالّوستيوس الأسباب التي دفعت بالجمهورية الرومانية من وجهة نظره لهذا الانحدار الأخلاقي والاضمحلال السياسي فكان تدمير قرطاجة عام

[1] Sall.Cat.5.9 .

[2] McKinnell Ryan(2016),p.3.

١٤٦ ق.م. أحد الأسباب القوية التي عجلت من اضمحلال الجمهورية الرومانية لأنها ساعدت على انتشار الترف والثراء والجشع وأيضا الطموح السيء :

Carthago, aemula imperi Romani, ab stirpe interiit, cuncta maria terraeque patebant, saevire fortuna ac miscere omnia coepit.(Sall.Cat.10.1)

" عندما تم استئصال قرطاجة؛ المنافس لقوة الرومان، عندها أصبحت كل الأراضي والبحار سهلة المنال، عندئذ بدأ الثراء ينمو بوحشية واربكت كل شيء."

كانت قرطاجة في تلك الآونة العدو المنافس للجمهورية الرومانية، حيث خاض ضدهم الرومان ثلاث حروب تعرف باسم (الحروب البونية)[١] وفي الحرب الثالثة والأخيرة قضى الرومان بشكل نهائي على قرطاجة وبالتالي أصبحت البحار آمنه أمام الرومان كذلك أصبحت الأراضي سهلة المنال بالنسبة لهم وقد ساهم ذلك على انتشار الثراء الذي اتلف كل شيء .

وبعدما ترسخت أسباب الثراء والفراغ بعد زوال قرطاجة يوضح، تأثيرهم الخطير على المجتمع والمواطنين بشكل مباشر. فيقول:

Qui labores, pericula, dubias atque asperas res facile toleraverant, iis otium divitiaeque optanda alias, oneri miseriaeque fuere. 3 Igitur primo imperi, deinde pecuniae cupido crevit: ea quasi materies omnium malorum fuere.(Sall.Cat.10.2-3)

"الرجال الذين تحملوا بسهولة الأعمال الشاقة، الأخطار والمحنة، وجدوا أن الفراغ والثراء أشياء مرغوب فيها مع الوقت، (تلك الأشياء) كانت عبئ وسبب الشقاء. وهكذا في البداية نمى الطمع نحو المال ثم الجشع نحو السلطة، هذه الأشياء كانت أصل كل الشرور أن جاز التعبير".

وكانت تلك أحد الأسباب التي دفعت سالّوستيوس للحديث عن عظمة الدولة التي تركها الأسلاف للقول بأن الجمهورية الرومانية تحولت من النموذج الجميل المثالي إلى المثال الأسوأ والأكثر قبحا في الانحدار الأخلاقي والتدهور السياسي:

ut paulatim inmutata ex pulcherruma atque optuma pessuma ac flagitiosissuma facta sit, disserere.(Sall.Cat.5.9)

---

[١] هناك مصادر يونانيو ورومانية عديدة عن الحروب البونية. فعلى سبيل المثال لا الحصر، المؤرخ اليوناني بوليبيوس، الذي استخدم مادته التاريخية فيها بعد المؤرخ الروماني ليفيوس. وهناك كُتاب الحوليات التاريخية الرومانية الذين كتبوا هذه الحروب أمثال فابيوس ، وكينكيوس ، وكذلك هناك كُتاب السير أمثال كورنيليوس نيبوس، وبلوتارخوس وهناك المؤرخان ديودوروس الصقلي وأبيانوس الذي عاش في القرن الثاني الميلادي.

"وإلى أي حد تركوا لنا دولة عظيمة وكيف تغيرت من النموذج الأجمل والأفضل إلى أن أصبحت الأسوأ والأكثر فساداً."

يستمر سالّوستيوس في وصف الشرور التي تفاقمت بعد زوال قرطاجة بشيء من التفصيل الدقيق ليظهر لنا مدى تردى الأوضاع آنذاك ويعبر عن ذلك بقوله:

Namque avaritia fidem, probitatem ceterasque artis bonas subvortit; pro his superbiam, crudelitatem, deos neglegere, omnia venalia habere edocuit. Ambitio multos mortalis falsos fieri subegit, aliud clausum in pectore, aliud in lingua promptum habere, amicitias inimicitiasque non ex re, sed ex commodo aestumare magisque voltum quam ingenium bonum habere. Haec primo paulatim crescere, interdum vindicari; post, ubi contagio quasi pestilentia invasit, civitas inmutata, imperium ex iustissumo atque optumo crudele intolerandumque factum.(Sall.Cat.10.4-6)

"لأن الجشع قوض الأمانة وصلاح القلوب والصفات النبيلة الأخرى، وحل محلها الغطرسة والقسوة، لقد أجبر الطموح عديد من الرجال على الكذب، لإخفاء ما في الصدور كانوا على استعداد لقول شيء أخر على اللسان، و أصبحت قيمة الصداقة أو العداوة مرهونة بالمصلحة وليس بالجوهر، واصبح الوجه الحسن افضل من القلب الجيد. في البداية انتشرت تلك الظواهر بالتدريج، كان يتم العقاب أحيانا، وبعد ذلك عندما انتشر هذا المرض المعدي مثل الطاعون، تغيرت الدولة، والسلطة السياسية التي كانت الأكثر عدلا والأفضل، أصبحت وحشية لا تطاق."

يرى سالّوستيوس أن الجشع أفسد قلوب الرومان لدرجة أن الغطرسة والقسوة أصبحت سماتهم المميزة وبالمثل أيضا دفع الطموح الرجال للكذب، ولم يعد لخصال الأسلاف النبيلة قيمة، وكانت القوانين تطبق أحيانا ولا تطبق أحيانا أخرى، وتفشى الفساد في السلطة السياسية التي ابتعدت عن العدالة والنزاهة في الانتخابات التي تميزت بها خلال تاريخ روم.

ظهرت شهوة المال ثم شهوة السلطة التي غرست في المواطنين الرومان بذور الاضمحلال منذ النصف الأول من القرن الأول قبل الميلاد وظهور مؤامرة كاتيلينا حتى انتهاء الجمهورية وقيام الإمبراطورية، وفي تلك الأثناء قضى الجشع على ما كان يطلق علية الشرف والاستقامة والصفات الحميدة ودفع الطموح بعديد من الرجال إلى الخداع والكذب، فكان ما ينطقه اللسان مخالف

لمكنون الصدور، وارتباط مفهوم الصداقة والعداوة بالمصالح والاعتبارات الشخصية، وكان المظهر الخارجي هو مقياس الأمور[١].

أما العامل الثاني الذي أدى إلي تفاقم الأوضاع السيئة في روما وسرع من وتيرة التدهور فهو هيمنة سولّا وسيطرته على الجمهورية الرومانية، فيقول سالّوستيوس عن ذلك:

Sed postquam L. Sulla armis recepta re publica bonis initiis malos eventus habuit, rapere omnes, omnes trahere, domum alius, alius agros cupere, neque modum neque modestiam victores habere, foeda crudeliaque in civis facinora facere. Huc accedebat, quod L. Sulla exercitum, quem in Asia ductaverat, quo sibi fidum faceret, contra morem maiorum luxuriose nimisque liberaliter habuerat. Loca amoena, voluptaria facile in otio ferocis militum animos molliverant.(Sall.Cat.11.4-5)

" وبعدما سيطر لوكيوس سولّا على الدولة بالسلاح، تغير الحال من بداية حسنة إلى أحداث شريرة، بدأ الجميع يسرق وينهب، فشخص ما رغب في منزلاً وشخص أخر رغب في حقول، لم يبد المنتصرون أي اعتدال أو تحض، لكنهم أساءوا بقسوة وبوحشية إلى مواطنيهم. وبالإضافة إلى كل ذلك فان لوكيوس سولّا ومن اجل ضمان ولاء القوات التي كان يقودها في أسيا، وعلى العكس من تقاليد أجدادنا فقد مكنهم من العيش بحرية ورفاهية مفرطة. وفي أوقات الفراغ فإن أماكن اللهو والمجون قد أوهنت الروح المعنوية للجنود الجامحين."

يرى سالّوستيوس أن اضمحلال الجمهورية الرومانية ارتبطت بتدهور الأخلاقي والترف الذي بدأ بعد تدمير قرطاجة عام ١٦٤ ق. م من خلال الهبات والأسلاب التي أتلفت أخلاق الجنود الرومان العائدين من الحرب، وازداد ذلك الاضمحلال وتضاعف بعد انتصار سولّا على الملك ميثراداتيس وعودته ألي روما عام ٨٣ ق.م، الذي أتاح الحرية والترف لجنوده بشكل خطير ومدمر أثناء فترة دكتاتوريته ومصادراته، حيث يرى سالّوستيوس أن سولّا أدخل رذيلة الترف **Luxuria** الأجنبية على المجتمع الروماني [٢]. ومع ذلك فقد ورد عند بعض المؤرخين ما يثبت أيضا أن الجيش الروماني قد تعرض لمثل تلك المؤثرات من لهو وترف ومجون في أوقات أخرى مختلفة[٣] متأثراً بعودة جيش مانليوس

[1] McKinnell Ryan(2016), p.3.

[2] Brent D. Shaw(1975), Debt in Sallust , Societe d'Etudes Latines de Bruxelles, Latomus , T. 34, Fasc. 1(Janvier- Mars),p.188.

[3] Batstone Wlliam W.(2010).p.159.

فولسو محملاً بأساليب الترف بعد انتصاره في آسيا الصغرى عام ١٨٧ ق.م وأيضا انتشار الترف والرخاء على اثر تدمير قرطاجة عام ١٦٤ ق.م.

يسرد سالّوستيوس دور سولّا الذي ساهم وعجل من تدهور واضمحلال الجمهورية الرومانية بسبب إجراءاته التي اتخذها لإرضاء جنوده، فيقول عن ذلك:

Ibi primum insuevit exercitus populi Romani amare, potare, signa, tabulas pictas, vasa caelata mirari, ea privatim et publice rapere, delubra spoliare, sacra profanaque omnia polluere. Igitur ii milites, postquam victoriam adepti sunt, nihil reliqui victis fecere. Quippe secundae res sapientium animos fatigant: ne illi corruptis moribus victoriae temperarent.(Sall.Cat.11.6-8)

" وللمرة الأولي يعتاد جيش الشعب الروماني على الحب، والشرب، والموائد المزينة، والأوعية المزخرفة، ونهب الممتلكات الخاصة والعامة وسرقة المعابد، وتدنيس جميع الأماكن المقدسة والعامة. ومن ثم فان هؤلاء الجنود بعدما حققوا الانتصار لم يتركوا أي شيء للمهزومين. فمن المؤكد أن الرفاهية تجهد أرواح الرجال الحكماء، فكيف لهؤلاء الفاسدين أن يستغلوا الانتصار بتحضر؟."

من الملاحظ أن سالّوستيوس يستخدم كلمة **primum** " للمرة الأولى " وهو بذلك يجعل بداية عهد الجيش الروماني بالترف والفسوق والانحلال مع فترة سولا وما تلاها وهو بذلك يتعارض مع- وربما يتجاهل - ما ذُكره المؤرخين عن الفترات السابقة المختلفة التي فيها الجيش الروماني في فسق ومجون. ينظر سالّوستيوس إلى أزمة الجمهورية المتأخرة كليا من الناحية الأخلاقية: حيث يقود الطموح **ambitio** النبلاء لاضطهاد الناس، الذين يسعون بعد ذلك بإفراط لتوطيد حريتهم **(libertas)** عندما تتاح لهم الفرصة[١].

أيضا يُلاحظ أن سالّوستيوس عندما يتحدث عن الجيش الروماني تحت قيادة سولّا فانه يطلق عليها **exercitus** "القوات أو الجيش"[٢] بدون وصفها بالرومانية وذلك لكي يلصق تهمة إفساد الانضباط والروح القتالية للجنود لسولّا وأيضا لكي يوحي بان القوات كانت تدين بالولاء لسولّا في تلك الفترة، باعتباره المسؤول الأول عن إفساد القوات وانهيار الانضباط بين صفوفها. ثم بعد ذلك حينما يتحدث سالّوستيوس عن قوات الجيش بعدما رجعوا إلى روما وأغدق عليهم سولا بالنعم والهبات وتم تسريحهم ففي هذه الحالة اطلق عليهم

[1] Badian E. (1962), "Review: Earl; the political thought of Sallust ", Verlag C.H.Beck, Gnomon,34,Bd.,H.5(sep.),p.464.

[2] Sall. Cat. 11.4-5.

exercitus populi Romani " جيش الشعب الروماني" وذلك ربما لسببين أولهما: أن قوات الجيش في هذه الحالة لم تكن تحت قيادة سولا الذي أمر بتسريحهم بعدما اكرمهم بالهبات ورجعوا لروما وانضموا لصفوف المواطنين، والأمر الثاني هو أنه يشير إلى الفساد الذي لحق بجيش روما بسبب سولّا، وتعمد هنا وصفه بجيش الشعب الروماني لكي يجعلها مشكلة قومية تخص كل الشعب الروماني ولكي يثير وطنيتهم تجاه تلك القضية فهؤلاء الجنود الأن جنود روما وليسوا جنود سولّا ومن ثم كان يتوجب الاهتمام بتلك القضية بشكل فعال لخطورتها لأنها كانت أحد عوامل اضمحلال الجمهورية الرومانية على حد قولة.

وكان على أثر ذلك أن ترسخت أسباب الاضمحلال في المجتمع الروماني فقد شهدت روما تحولاً في المفاهيم والقيم النبيلة التي لطالما ميزت المجتمع الروماني وكانت أحد أهم الركائز الأساسية لصلابة المجتمع وتماسكه، فيقول في ذلك:

Postquam divitiae honori esse coepere et eas gloria, imperium, potentia sequebatur, hebescere virtus, paupertas probro haberi, innocentia pro malevolentia duci coepit. Igitur ex divitiis iuventutem luxuria atque avaritia cum superbia invasere: rapere, consumere, sua parvi pendere, aliena cupere, pudorem, pudicitiam, divina atque humana promiscua, nihil pensi neque moderati habere.(Sall.Cat.12.1-2)

" بعد ذلك أصبحت الثروة شرفاً، ثم أعقبها الزهو والنفوذ السياسي والسلطة، ثم بدأت الفضيلة تفقد بريقها، واعتبر الفقر عاراً، واسُتغلت البراءة من اجل الخبث، ونتيجة للثراء توغل التبذير والجشع والغطرسة في نفوس الشباب، لقد سرقوا وأبادوا: لقد اعتبروا ما يمتلكونه عديم الفائدة وطمحوا في ملكيات الآخرين ؛أما الأخلاق والعفة البشرية أو الإلهية على حد سواء لم تعد تمثل قيمة أو اعتدال".

كان هذا حال المجتمع الذي تبدلت فيه القيم بسبب تدمير قرطاجة ورجوع قوات سولّا من أسيا محملة بأساليب الترف والجشع، وكذلك الهبات والعطايا التي أغدقها سولّا على جنوده والتي رسخت في نفوس الجنود حب اللهو والترف وأوهنت عزيمتهم.

وبعدما وصف سالّوستيوس الوضع العام في روما بعد تدمير قرطاجة وهيمنة سولا ينتقل بعد ذلك بشكل مناسب لوصف الوضع المحيط بكاتيلينا والظروف التي دفعته لتلك الانحرافات. فيقول في ذلك:

In tanta tamque corrupta civitate Catilina, id quod factu facillumum erat, omnium flagitiorum atque facinorum circum se tamquam stipatorum catervas habebat. Nam quicumque inpudicus, adulter, ganeo, manu, ventre, pene bona patria laceraverat quique alienum aes grande conflaverat, quo flagitium aut facinus redimeret.(Sall.Cat.14.1-2)

"وفي مثل هذه المدينة الفاسدة، جمع كاتيلينا حوله ما يشبه الحرص، وحشود من الأشرار والمجرمون، لقد كان من السهل للغاية فعل ذلك، لقد كان رفقائه وأصدقائه هؤلاء الذين بددو ثرواتهم بأيديهم على معدتهم وشهواتهم، وأي شخص آخر استفحلت ديونه الشخصية لكي يحتمى بالحصانة من انحرافاته وجرائمه".

بعدما مهد سالّوستيوس للفساد الذي انتشر في روما بسبب الدوافع التي ذكرها في الفقرات السابقة فقد سنحت له الفرصة بعدما لم يدع مجالا للشك فيصف روما بالمدينة الفاسدة In tanta tamque corrupta civitate " في مثل هذه المدينة الفاسدة " و لكي لا يدع مجالا للشك أن كاتيلينا نشأ في بيئة فاسدة وانه أحاط نفسة بصحبه المنحرفين الفاسدين وانه لم يكن أمامه خيار أخر سوى أن يكون نتاج مدينة روما التي أصابها الفساد. بالإضافة إلى ذلك فان بعض الأشخاص كانوا يلجأون للمناصب السياسية لكى توفر لهم الحماية من الملاحقات القضائية على خلفية جرائمهم بما توفره لهم من حصانه وبمعني أخر أنه كان من بين هؤلاء الذين يديرون شؤن البلاد أو في أي منصب يكمن بعض الفاسدين والمنحرفين.

ومن بين الحين والآخر يذكرنا سالّوستيوس بانحلال وفساد وعربدة كاتيلينا. فيقول :

Iam primum adulescens Catilina multa nefanda stupra fecerat.(Sall.Cat.15.1)

"وبالفعل فان كاتيلينا في بداية فترة الشباب قد اقترف عديد من الرذائل المخزية"

بعدما تغيرت المفاهيم والقيم في روما فمن خلال كلمة iam كأنه اصبح من الطبيعي أو شيء حتمي أن نجد كاتيلينا أو غيرة لا يتورعون من القيام بالرذائل والأفعال المخزية.

يتحدث سالّوستيوس بعد ذلك عن الأثر والنتائج السلبية التي رسخت لها هيمنة سولا وإصلاحاته في المجتمع الروماني، ففي تلك الآونة بدأت الإجراءات التي اتخذها سولا تُؤتي ثمارها، والتي كانت من العوامل القوية التي ألهمت كاتيلينا إلى التفكير في تكوين مؤامرة لإسقاط الحكومة والسيطرة على الدولة، فيقول :

His amicis sociisque confisus Catilina ,simul quod aes alienum per omnis terras ingens erat et quod plerique Sullani milites largius suo usi rapinarum et victoriae veteris memores civile bellum exoptabant, opprimundae rei publicae consilium cepit.(Sall.Cat.16.4)

"وبوثوق كاتيلينا في هؤلاء الأصدقاء والحلفاء، وفي نفس الوقت لان الديون تفاقمت بشكل هائل في جميع أنحاء العالم، وأيضا لان معظم جنود سولّا بددوا ثرواتهم، فتذكروا أعمال النهب وانتصاراتهم السابقة فكانوا يشتاقون لحرب أهلية، ومن ثم وضع كاتيلينا خطته للإطاحة بالجمهورية".

يذكر سالّوستيوس انه بعدما جمع كاتيلينا حوله أصدقائه وحلفائه من المجرمين والفاسدين الذين يثق فيهم ويعتمد عليهم في هذا المجتمع الفاسد، وبسبب انتشار الديون بشكل كبير في جميع أنحاء العالم آنذاك وأيضا لان جنود سولّا السابقين وبعدما بددوا كل ثرواتهم التي منحها لهم سولّا كانوا يرغبون في نشوب حرب أهلية تمكنهم من إشباع رغبتهم في النهب واشتياقهم لانتصاراتهم السابقة في عهد سولّا، فكل تلك العوامل أثارت روح كاتيلينا لوضع خطة للإطاحة بالحكومة والسيطرة على الجمهورية.

يسلط سالّوستيوس الضوء بشكل كبير على جنود سولّا السابقين ووضعهم البائس الذي انحدروا إليه، فبسبب الإجراءات التي اتخذها سولّا اصبح هؤلاء الجنود مثل قنبلة موقوتة تهدد الدولة الرومانية وجرثومة تهدد المجتمع. فحينما كان هؤلاء الجنود ضمن حملة سولّا في آسيا أتيحت لهم الفرصة للتمتع بالترف هناك، وحينما نشبت الحرب الأهلية ودخل سولّا بجيوشه إلى روما وأصحبت له اليد العليا ومن ثم هيمن على كل مقاليد الدولة الرومانية، أغدق على جنوده ووزع عليهم الأراضي والمقاطعات التي انتزعها من خصومه بعدما تخلص منهم ومكنهم من العيش بشكل مترف على غير العادة[١]. وطبقا لإبيانوس Appianus كان عدد هؤلاء الجنود حوالي مائة وعشرون ألف جندي[٢]. كان يتركز غالبية هؤلاء الجنود بعد توزيع الأراضي عليهم في مقاطعة أتروريا التي تقع شمال روما وذلك لأنها كانت معقل الفصائل المعارضة لسولّا

[1] Sall.Cat.11.
[2] App. Civ. War.1.104.

أثناء الحرب الأهلية ومن ثم حينما تخلص منهم قام بتوزيع ممتلكاتهم وأراضيهم على جنوده وهناك أيضا كان هؤلاء الجنود يطمحون في سلب ونهب ما يمكن أن تطاله أيديهم في أتروريا[١]. فمن هذا المكان بدأ كاتيلينا الإعداد لمؤامرته بالقرب من فايسولاى. حيث أن معظم هؤلاء الجنود السابقين لم يكونوا مناسبين لمهنة الزراعة لانهم كانوا يفتقرون للخبرة في هذا المجال ولذلك لم تكن لديهم رغبة حقيقية في إدارة ممتلكاتهم الجديدة، ولأنه قد سبق لهم أن تذوقوا متعة الترف في آسيا، ولذلك أغرقتهم الرغبة نحو إشباع شهواتهم من خلال الديون[٢]. ويرى شيشرون أنه لم يكن حتى من السهل على هؤلاء الجنود القدامى أن يبيعوا تلك الأراضي في مقابل عائد نقدى فوري وذلك لأن المشتريين لم يرغبوا في أن يستثمرون في تلك الأراضي التي آلت ملكيتها إلى ملاكها الجدد من خلال عمليات التجريد والنفي والقتل التي اتبعها سولّا ومن ثم تسببت في انتشار الحقد والضغينة والكراهية، ومن ثم كان نقيب العامة في تلك الفترة يهدد من خلال قانون الإصلاح الزراعي بنزع تلك الأراضي لتصبح ملك الدولة[٣].

ولذلك كان هؤلاء الجنود يتذكرون دائما أمجادهم السابقة والحياة المترفة التي تنعموا بها في عهد سولّا ولذلك كانوا يرغبون في نشوب حرب أهلية تمكنهم مجددا من تحسين وضعهم المزرى من خلال السلب والنهب وتوزيع الغنائم. ويرى شيشرون أن وضع هؤلاء الجنود كان مزريا وسيئاً للغاية فليس هناك وسيلة تمكنهم من الإفلات من مصيرهم المحتوم بالإفلاس والفقر و تعيد لهم أمجادهم سوي إعادة سولّا من الموت أو ظهور سولّا جديد ولذلك كانوا يشجعون بعض القرويين والرجال المحليين من الفقراء والمحتاجين نحو السلب والنهب أيضا [٤].

يذكر سالّوستيوس استغلال كاتيلينا بمساعده مانليوس لهذا الوضع المتأزم في أتروريا فكانت الأوضاع هناك مناسبة تماما لأهداف كاتيلينا، فيقول سالّوستيوس عن ذلك :

Interea Manlius in Etruria plebem sollicitare egestate simul ac dolore iniuriae novarum rerum cupidam, quod Sullae dominatione agros bonaque omnis amiserat, praeterea latrones cuiusque generis, quorum in ea regione magna copia erat, nonnullos ex Sullanis coloniis, quibus

[1] Plut. Cic.14.1.
[2] Ramsey J.T.(2007),p.102.
[3] Cic.leg.Agr.2.68.
[4] Cic. Cat. 2.20.

lubido atque luxuria ex magnis rapinis nihil reliqui fecerat.(Sall.Cat.28.4)

"بينما كان مانليوس في اتروريا يحرض العامة الذين كانوا يرغبون في التغير بسبب الفقر ومرارة الظلم ، لانهم خلال هيمنة سولّا فقدوا حقولهم وجميع ممتلكاتهم. وبالإضافة لذلك جذب إليه اللصوص من كل الأطياف ، الذين كانوا منتشرين بكثرة في المنطقة حيث جاء بعضهم من مستعمرات سولّا، والذين بسبب الشهوات والترف لم يتبقى لهم أي شيء من الغنائم الهائلة."

يشير سالّوستيوس إلى استغلال مانليوس للوضع المتردي في اتروريا فكان هناك الفقراء المحتاجين الذين جردهم سولّا من أراضيهم وجميع ممتلكاتهم، وأيضا تقرب من اللصوص الذين انتشروا هناك في اتروريا وكان بعضهم قد جاء من مستعمرات سولّا بعدما بددوا ما كان بحوزتهم من غنائم هائلة بسبب إشباعهم لشهواتهم وحب الترف، ويتكون هؤلاء اللصوص في الأساس من العبيد الهاربين والذين كانوا يعملوا كمزارعين في المزارع الشاعة في تلك المناطق، ويتضح من ذلك أن كلا الطرفين سواء الذين جردهم سولّا من ممتلكاتهم أو جنود سولّا السابقين الذين انعم عليهم سولّا بالغنائم والهبات، فكلاهما انتهى به المطاف إلى الفقر والشقاء فكانوا يرغبون في نشوب حرب أهلية لإشباع رغباتهم في السلب والنهب وبالتالي كانوا مهيئين تماما للانضمام لأى مؤامرة تعصف بالجمهورية وهو ما أدركه كاتيلينا وجعل مانليوس يعمل في إتروريا على تجنيدهم.

لخص سالّوستيوس في هذه الفقرة القصيرة المشكلات السياسية والاقتصادية آنذاك والتي فطن كاتيلينا لها وحاول أن يسخرها لتحقيق أهدافه ، فكان نتيجة تحالف إتروريا مع ماريوس ضد سولّا أن قام الأخير بمعاقبة سكان إتروريا بعدما ثبت أركانه وأصبحت له اليد العليا والسيطرة الكاملة على الدولة الرومانية ، وجرد سكانها من أراضيهم وممتلكاتهم بعدما قتل ونفي العديد منهم وقام بتوزيع تلك الأراضي على جنوده البالغ عددهم آنذاك مائة وعشرون الف جندي وأسكنهم الأراضي في تلك المقاطعات. وبعد وفاة سولّا قاد ليبيدوس Lepidus الساخطين والمتذمرين- والذين يمتثلون في العبيد الشاردين في تلك المناطق والذين كانوا يعملون في المزارع الشاسعة في تلك المناطق- نحو الانتفاضة . وفي الفترة بين وفاة سولّا حتى ظهور مؤامرة كاتيلينا كان العديد من جنود سولّا القدامى فقدوا أو بددوا كل ثرواتهم ومن ثم أصبحوا مشكلة أُضيفت إلى مشكلة فقراء المدن و هؤلاء الساخطين أيضا(المعاملين في الأراضي الزراعية) [١].

[1] Batstone Wlliam W.(2010),p.167.

رغم أنه كان يوجد في الوطن وفرة في المال وانتشار السلام إلا أن ذلك لم يمكن كافيا للفاسدين الذين عقدوا العزم على تدمير هذا الوطن بما في ذلك انفسهم، فيقول في ذلك:

domi otium atque divitiae, quae prima mortales putant, adfluerent, fuere tamen cives qui seque remque publicam opstinatis animis perditum irent.(Sall.Cat.36.4)

" وفي الوطن انتشر الفراغ والثراء ، تلك الأشياء التي يضعها البشر في صدارة أولوياتهم ، ومع ذلك كان هناك مواطنون بقلوب قاسية عازمون على تدمير انفسهم ودولتهم".

يشير سالّوستيوس إلى انتشار الثراء الفاحش لدى بعض المواطنين وتمتعهم بأوقات الفراغ بينما على النقيض ساد فقر مدقع بين جموع كبيرة من المواطنين ومن ثم كان هؤلاء الفقراء يفكرون بجدية في قلب الأمور وتدمير الدولة بالنهب وسرقة هؤلاء الأغنياء، وبينما كانت المؤامرة على أعتاب المدينة يصف سالّوستيوس أحوال العامة والمواطنين داخل المدينة آنذاك وصفا دقيقاً وموقفهم من المؤامرة والأسباب التي جعلت من "حرب كاتيلينا" من اخطر المؤامرات التي كادت أن تعصف بالجمهورية والأخطار التي كادت أن تحدثها مؤامرة كاتيلينا. فيسرد لنا الأسباب التي تعظم من خطر المؤامرة على النحو التالي:

Neque solum illis aliena mens erat, qui conscii coniurationis fuerant, sed omnino cuncta plebes novarum rerum studio Catilinae incepta probabat. Id adeo more suo videbatur facere. Nam semper in civitate, quibus opes nullae sunt, bonis invident, malos extollunt, vetera odere, nova exoptant, odio suarum rerum mutari omnia student, turba atque seditionibus sine cura aluntur, quoniam egestas facile habetur sine damno. Sed urbana plebes, ea vero praeceps erat de multis causis. Primum omnium, qui ubique probro atque petulantia maxume praestabant, item alii per dedecora patrimoniis amissis, postremo omnes, quos flagitium aut facinus domo expulerat, ii Romam sicut in sentinam confluxerant.(Sall.Cat.37.1-5)

" تلك النزعة لم تكن قاصرة على هؤلاء الذين انضموا للمؤامرة فقط، بل أن جميع العامة ومن خلال رغبتهم في التغير كانوا يستحسنون مخطط كاتيلينا، وبالفعل يبدو أنهم كانوا يفعلون ذلك بطريقتهم الخاصة. لأن تلك هي طبيعة الحال في الدولة، فالفقراء يحتقرون الموطنين الشرفاء ويمجدون الأشرار ويمقتون ما

هو قديم ويدعون للتجديد، فهم يرغبون في تغير كل شيء لانهم يحتقرون أوضاعهم، ويدعمون الفوضى والنزاعات بدون عناء، منذ أن الفقر سهل المنال كما انه لن يكلفه شيء، ولكن عامة سكان الحضر كانوا ساخطين لعدة أسباب؛ فقبل أي شيء كان هناك أولئك البارعين في الخزي والوقاحة على نحو عظيم، وأيضا هناك الأخرون الذين خسروا إرثهم بطريقة مخزية، وأخيرا كل هؤلاء الذين تم نفيهم من الوطن بسبب اقتراف عمل مشين أو جريمة فهؤلاء انتشروا في روما كالماء الأسن."

وبينما كان الخطر يحدق بمدينه روما، كان هناك خطر اعظم يعم بها من الداخل ألا وهو أن المدينة كانت متهيئة بالفعل للاضمحلال، فالمواطنين كانوا فاسدين للغاية، فجميع العامة كانوا يؤيدون كاتيلينا لرغبتهم في إحداث التغير ظناً منهم أنه ربما يعود عليهم ببعض الفوائد الشخصية وإن كان على حساب انهيار الدولة، فهو بالنسبة لهم افضل من أوضاعهم السيئة، فنتيجة للأحداث التي عرضها سالّوستيوس في بداية مؤلفه والتي ساهمت في تفشي الجشع والطموح والثراء جاءت مؤامرة كاتيلينا لتكلل ذروة ذلك الفساد التي كشفت مدى السوء الذي تمكن من قلوب المواطنين، فهم وأن لم ينضموا إلى مؤامرة كاتيلينا إلا أن قلوبهم كانت تبارك تلك المؤامرة حتى أن سالّوستيوس يؤكد أن كل شخص بالفعل كان يتآمر ضد الدولة بطريقته الخاصة، ونتيجة لتبدل القيم وتغير الأحوال فكان العامة يحتقرون الشريف ويمجدون رجال السياسة الأشرار الذين يدافعون عن حقوقهم المسلوبة ويرغبون في أي فرصة لتغيير واقعهم المرير، فبدورهم كانوا يعضّدون من النزاعات والصراعات دون جهد منهم. ذلك لأنهم بالأساس كانوا فقراء فمهما حدث لن يكون القادم أسوأ مما يعانون بالفعل، ثم يتحول سالّوستيوس بعض ذلك نحو العامة في مدينة روما وهم بدورهم لا يختلفون كثيرا عن العامة من خارج المدينة، فسكان روما كانوا في غاية الوقاحة والخزي ولم لا وقد نشأوا في مجتمع فاسد، فمنهم من خسر إرثه عن أبائه بطريقة مخزية وكان هناك أيضا من تم نفيهم خارج روما بسبب جرائمهم وسلوكياتهم المنحرفة والذين بدورهم جميعاً كانوا ينتظرون أدني فرصة للرجوع إلى روما وعندما سنحت لهم الفرصة أثناء المؤامرة فقد انتشروا في روما كالماء الآسن.

وبالمثل فأن أحد أسباب فداحة مؤامرة كاتيلينا أنها أعادت إلى الأذهان هيمنة الديكتاتور سولّا والتي رسخت للعديد من عوامل الفساد والاضمحلال في المجتمع الروماني فيقول سالّوستيوس في ذلك:

Deinde multi memores Sullanae victoriae, quod ex gregariis militibus alios senatores videbant, alios ita divites,

ut regio victu atque cultu aetatem agerent, sibi quisque, si in armis foret, ex victoria talia sperabat.(Sall.Cat.37.6)

" كما أن هناك الكثيرين أيضا الذين تذكروا انتصار سولّا، فقد شاهدوا البعض من عامة الجنود وقد أصبحوا أعضاء في مجلس السيناتوس والبعض الأخر اصبح ثرياً حتى انهم عاشوا حياة الولائم والفخامة الملكية، فكل شخص كان يتوقع لنفسة مثل ذلك المصير من النصر لو أنه كان في المعركة".

ينوّه سالّوستيوس إلى خطورة المؤامرة كونها أعادت إلى الأذهان عصر سولّا خشية أن يحدث ما حدث من قبل، فبعض عامة الجنود اصبحوا أعضاء في مجلس السيناتوس والتي تمثل سابقة، كما أن البعض الأخر بلغ من الثراء ما مكنهم من العيش كالملوك، وفي المقابل أيضا تسببت تلك الأوضاع في افتقار البعض الأخر بالضرورة، والشاهد على ذلك العامة الفقراء الذين وصفهم في الفقرة السابقة والذين كانوا يتنظرون الفرصة لتغير وضعهم المذري بأي وسيلة، والذين كانوا يتوقعون من اندلاع نار المؤامرة والحرب أن ينالوا ما ناله أولئك الذين شاركوا سولّا حلاوة النصر بعدما فرض هيمنته.

يصف سالّوستيوس الفساد الذي كان مترسخاً في قلوب المواطنين ومن ثم برز للعيان أثناء نشوب المؤامرة، على النحو التالي:

Praeterea iuventus, quae in agris manuum mercede inopiam toleraverat, privatis atque publicis largitionibus excita urbanum otium ingrato labori praetulerat. Eos atque alios omnis malum publicum alebat. Quo minus mirandum est homines egentis, malis moribus, maxuma spe, rei publicae iuxta ac sibi consuluisse.(Sall.Cat.37.7-8)

"وبالإضافة إلى ذلك فأن الشباب الذين كانوا يتحملون الفقر من خلال العمل بأيديهم في المزارع، قد انجذبوا نحو الهبات الخاصة والعامة وفضلوا الخمول في المدينة عن العمل الكرية، لذلك فأن هذه الأحداث عضّدت من الفساد العام مثل جميع الأحداث الأخرى. لذلك ليس من المستغرب أن نجد الرجال الفقراء ذي الأخلاق الفاسدة والطموحات المفرطة يهتمون لبلدهم اقل مما يهتمون لأنفسهم".

ومن الأسباب الذي أسهمت في تفاقم الوضع أيضا توقف الشباب الكادحين عن العمل بأيديهم في المزارع بحثا عن لقمة عيش شريفة وتفضيلهم الركون في المدينة والاعتماد على الهبات والعطايا العامة والخاصة ويلمح سالّوستيوس هنا إلى ما كان يحدث في فترات الانتخابات العامة وغيرها من الأمور السياسية حيث كانت توزع الأطعمة والهبات وغيرها على المواطنين من اجل ضمان الأصوات الانتخابية ومن ثم الفوز بالمنصب المنشود. ومثل تلك السلوكيات

أسهمت في تردى الوضاع وتفاقم المشكلات في المجتمع الروماني، فانهارت القيمة الوطنية لدى المواطنين وجعلت الأشخاص يتبلورون حول رغباتهم الخاصة.

ويستمر سالّوستيوس في سرد أعراض الفساد الذي أحدثه سولّا في المجتمع، ورغبه من تعرضوا للظلم في الانتقام، وأيضا فساد أصحاب المناصب من غير أعضاء مجلس السيناتوس والذين بدورهم أشاعوا الفساد في المجتمع، فيقولك عن ذلك:

Praeterea, quorum victoria Sullae parentes proscripti, bona erepta, ius libertatis inminutum erat, haud sane alio animo belli eventum exspectabant. Ad hoc, quicumque aliarum atque senatus partium erant, conturbari rem publicam quam minus valere ipsi malebant. Id adeo malum multos post annos in civitatem revorterat.(Sall.Cat.37.9-11)

" ومن ناحية أخرى، هؤلاء الذين تم نفي أباءهم (خارج الوطن) بعد انتصار سولّا وتم نهب ثرواتهم وكبح حريتهم، فكانوا يتطلعون نحو مصير الحرب لنفس الغاية. وعلاوة على ذلك فإن من كانوا ينتمون لحزب أخر غير مجلس السيناتوس فكانوا يفضلون لأنفسهم أن تكون الجمهورية مضطربة على أن تُقلل صلاحياتهم. كان ذلك هو الشر الذي عاد إلى الدولة بعد سنوات عديدة".

بعد انتصار سولّا وهيمنته، تم نفي العديد خارج البلاد وتم تجريد أبنائهم من ثرواتهم و تقليص حريتهم أيضا. فما كان من شأن تلك الإجراءات إلا أن رسخت للعداء والانتقام في نفوس هؤلاء المواطنين وأبنائهم والذين بدورهم كانوا حريصين على الانتقام بنفس الأسلوب لكي يستعيدوا ممتلكاتهم التي صودرت جراء تلك الإجراءات التعسفية ضدهم ومن ثم كانوا يستلهمون من مؤامرة كاتيلينا الفرصة المناسبة لتحقيق أهدافهم المكبوتة ولينفذوا نفس المصير الذي صدر بحقهم ضد من يهيمنون على السلطة والثروة. ثم يتحول بعد ذلك ليبرز فساد أصحاب المناصب الأخرى من غير أعضاء السيناتوس وبالأخص الترابنة والذين لم تكن لديهم مشكلة مع انتشار الفوضى في المجتمع طالما انهم يتمتعون بكامل صلاحياتهم وسلطاتهم، فيصفهم بالشر الذي عاد للبلاد بعد سنوات عديدة.

يتوجه سالّوستيوس بعد ذلك بالحديث عن الترابنة بشكل مباشر لكي يبرز الأسباب التي جعلته يصفهم بالفاسدين فيقول عنهم:

Nam postquam Cn. Pompeio et M. Crasso consulibus tribunicia potestas restituta est, homines adulescentes summam potestatem nacti, quibus aetas animusque ferox erat, coepere senatum criminando plebem exagitare, dein

largiundo atque pollicitando magis incendere, ita ipsi clari potentesque fieri. Contra eos summa ope nitebatur pleraque nobilitas senatus specie pro sua magnitudine.(Sall.Cat.38.1-2)

" لأن سلطة الترابنة تم استعادتها في فترة قنصلية بومبيوس و كراسوس. وبعد ذلك بعض الشباب ذو الأعمار والقلوب الجامحة وصلوا لتلك المناصب العليا، ثم بدأوا في إثارة الشعب ضد مجلس السيناتوس، ثم أثاروا الشعب بالعطايا والوعود، وبهذه الطريقة أصبحوا مشهورين وذي نفوذ، ولقد قاومهم الأرستقراطيين بكل الوسائل من أجل مصلحة مجلس السيناتوس، هكذا بدت، ولكنها في واقع الأمر كانت لتمجيد انفسهم".

والجدير بالذكر أن سالّوستيوس ذكر أن نقباء العامة استعادوا سلطاتهم في عهد قنصلية بومبيوس و كراسوس ولكنه لم يذكر لنا متى تم كبح سلطاتهم ومن الشخص الذي تصدى لصلاحيات الترابنة قبل أن يتم أحياؤها مرة أخرى. وفي حقيقة الأمر فأن سولّا هو من قلل من سلطات منصب نقيب العامة من خلال إصلاحاته في أواخر عام ٨٠ ق.م كما انه قيد سلطتهم على حق الاعتراض (Veto) على التشريعات والقوانين في مجلس السيناتوس. ومنعهم من دورهم في سن التشريعات وبالمثل حظرهم من تولي اكثر من منصب أثناء توليهم منصب نقيب العامة، ولاحقا في عام ٧٥ ق.م سمح لهم مرة أخرى بتولي اكثر من منصب. وبعد ذلك في فترة قنصلية بومبيوس و كراسوس عام ٧٠ ق.م استعاد نقباء العامة صلاحياتهم المطلقة في الاعتراض وأيضا حقهم في سن التشريعات مرة أخرى [١].

يرى سالّوستيوس هنا أنه بعد استعادة منصب نقيب العامة لنفوذه في فترة قنصلية بومبيوس و كراسوس بدأ نقباء العامة من الشباب الطموحين في تولي المناصب الحكومية والسياسية في تأليب جموع عامة الشعب ضد مجلس السيناتوس بهداياهم ووعودهم باستصدار تشريعات لمصلحتهم وتحسين أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية المتدنية لكي ينالوا حظاً من المجد والشهرة تمكنهم من الترشح للمناصب الحكومية في الدولة.

يذكر سالّوستيوس في الفقرة التالية الأسباب الحقيقة الكامنة وراء الصراع بين أصحاب المناصب في روما سواء من أعضاء السيناتوس أو نقباء العامة، ليوضح كيف انهم تظاهروا بدفاعهم عن الصالح العام ليثيروا مشاعر الشعب في صفهم :

Namque, uti paucis verum absolvam, post illa tempora quicumque rem publicam agitavere honestis nominibus,

[1] Batstone Wlliam W.(2010),p.171.

alii sicuti populi iura defenderent, pars quo senatus auctoritas maxuma foret, bonum publicum simulantes pro sua quisque potentia certabant. Neque illis modestia neque modus contentionis erat: utrique victoriam crudeliter exercebant.(Sall.Cat.38.3-4)

" ولعرض الحقيقة في كلمات موجزة، بعد تلك الفترات، أيا من كان يثير الجمهورية بالادعاءات المبجلة، فالبعض بدا كما لو أنه يدافع عن حقوق الشعب، والبعض الأخر لكي يضمن سلطة السيناتوس من خلال التظاهر بالعمل من اجل الصالح العام بينما كانوا يكافحون من اجل سلطتهم الخاصة. في هذا الصراع لم يكن هناك كبح أو معيار، فكل جانب كان يستغل انتصاراته بوحشية".

يصف سالّوستيوس الصراع الذى كان يثيره أصحاب المناصب والمصالح في روما بأنه صراع نحو المصالح الشخصية البحتة وأن كانوا يدّعون دفاعهم عن مصالح الشعب والدولة فذلك فقط ليضمنوا لأنفسهم المناصب في مجلس السيناتوس أو الفوز بأحد المناصب الحكومية من خلال الانتخابات التي تتطلب تصويت الجمهور، ومن ثم كان مهماً لهم الفوز بتأييد الشعب، فكانت تلقي نحو ذلك الخطب والشعارات المجللة ليلهبوا حماس الشعب ولضمان تأييدهم في الصراعات ضد بعضهم البعض، ولم يكن هناك شيء ليكبح جماح الصراعات بينهم فكل جانب كان يستغل انتصاراته بوحشية لينكل بالطرف الأخر.

في الصراع نحو السلطة لعبت الثروة أيضا دوراً مهما أن لم يكن حاسماً، فهؤلاء الذين امتلكوا الأموال والضياع استخدموا العملية الانتخابية من اجل حماية ثرواتهم، وأما هؤلاء الذين لم يمتلكوا الثروات فقلد استغلوا المؤسسات السياسية من أجل التربح. وطبقاً لسالّوستيوس "لقد نمى الثراء والجشع والكسل في نفوس المواطنين، وكما ضعفت سلطة العائلات الأرستقراطية العريقة ولم تهدأ غطرستهم، كما أنها أبرزت إلى الصدارة والسيادة الرجال الذين لا يحظون بالكفاءة لخوض غمار السلطة والنفوذ بين أعضاء السيناتوس". ومن خلال الانتخابات يستطيع المرء أن يؤمن احد المناصب المربحة أو المناصب العسكرية التي يستطيع المرشح من خلالها أن يؤمن المال والنفوذ السياسي. ففي روما كان كل شيء قابل للبيع فكل شيء وله ثمنه[1].

omnia venalia habere edocuit(Sall.Cat.10.4)

" أي شيء كان للبيع"

وأيضا كان لغياب بومبيوس عن روما بعدما تم أرساله لقتال القراصنة وميثراداتيس أثراً كبيراً في إثارة الصراع السياسي في روما، وأتاح المجال

[1] Batstone Wlliam W.(2010),p.X

للفاسدين الذين يهيمنون أو يرغبون في السلطة السياسية والثروات في التوسع من أنشطتهم الفاسدة وتأمين مناصبهم وزيادة ثرواتهم بقدر المستطاع من خلال فرض سطوتهم وسيطرتهم وقبضتهم على الآخرين فيقول عن ذلك:

Sed postquam Cn. Pompeius ad bellum maritumum atque Mithridaticum missus est, plebis opes inminutae, paucorum potentia crevit. Ei magistratus provincias aliaque omnia tenere; ipsi innoxii, florentes, sine metu aetatem agere ceterosque iudiciis terrere.(Sall.Cat.39.12)

"ولكن بمجرد أن تم أرسال جنايوس بومبيوس لقتال القراصنة وميثراداتيس، تم تقليص ثروات عامة الشعب بينما ذاد سلطان الأقلية، فاحتكروا المناصب القضائية وحُكم الولايات وجميع الأشياء الأخرى، ولكونهم امنين على انفسهم ويعيشون في ازدهار فامضوا حياتهم بلا خوف ،وارهبوا الأخرين بالملاحقات القضائية."

فحينما خرج بومبيوس بقواته من روما لقتال القراصنة وميثراداتيس استفحل الفساد والرغبة في التملك والهيمنة بين الأقلية الذين هيمنوا على جميع موارد الدولة ومقاليد الأمور، فتم تقليص ثروات وموارد العامة. وذاد الأقلية من ثرواتهم وسلطانهم واحتكروا المناصب القضائية و حُكم الولايات وجميع المناصب الأخرى فعاشوا حياة مزدهرة بعدما امّنوا انفسهم، كذلك أرهبوا الأخرين بالملاحقات القضائية.

وبسبب تلك الأوضاع المجحفة والظالمة، والتي بالضرورة جعلت الكثيرين ساخطين وناقمين من تلك الممارسات، فكانت الاضطرابات السياسية تثر حماستهم املاً في تغير ذلك الوضع المجحف بحقهم، وخاصة محاولة كاتيلينا الأولى والتي كادت أن تسحق الدولة في حال نجحت، فيتحدث عنها سالّوستيوس بقوله.

Sed ubi primum dubiis rebus novandi spes oblata est, vetus certamen animos eorum adrexit. Quod si primo proelio Catilina superior aut aequa manu discessisset, profecto magna clades atque calamitas rem publicam oppressisset; neque illis, qui victoriam adepti forent, diutius ea uti licuisset, quin defessis et exsanguibus, qui plus posset, imperium atque libertatem extorqueret.(Sall.Cat.39.3-4)

"ولكن بمجرد أن الاضطراب السياسي أوجد الأمل في التغير. فأن الصراع القديم اثأر حماستهم من جديد، فلو أن كاتيلينا أحرز النصر في معركته الأولى أو حتى التعادل. فبالتأكيد كانت ستكون مذبحة عظيمة وكارثة تسحق الدولة. فهؤلاء

الذين قد يحرزون النصر لن ينعموا به لفترة طويلة، فبينما هم مستنفذون ومرهقون، قد يأتي أحد ما اقوى منهم ويسلبهم سلطتهم وحريتهم".

ومن خلال ذلك فأن الاضطرابات السياسية كانت تثير الأمل في نفوس المواطنين الذين يرغبون في تغير وضعهم البائس نتيجة لظلم وجور الأقلية الذين يحتكرون موارد الدولة، فاكنت محاولة كاتيلينا الأولى تجدد فيهم الأمل ولو حدث أنها نجحت لكادت أن تعصف بالجمهورية، ذلك أنها كانت ستجلب صراع دموي وكارثي بين أفراد المجتمع نحو سعيهم للسلطة، فلو حدث لهم الانتصار، كان هناك من هو أقوى منهم ينتظر بينما هم مرهقون ليقضي عليهم ليظفر هو بالنصر. ولم يحدد سالّوستيوس الشخصية التي يمكن أن تفعل ذلك فربما يكون بومبيوس أو كراسوس أو قيصر.

ومع ذلك حتى لو أن محاولة التغير ربما تؤدى لنتائج وخيمة فأن الرغبة في التغير كانت اقوى، فكان هناك البعض ممن لم ينضموا ألي كاتيلينا كانوا يرغبون في الانضمام للمؤامرة، حتى وأن كان أحد أبناء أعضاء السيناتوس، ويشير سالّوستيوس أيضا إلى مدى انتشار الرغبة في الهيمنة وتغير مقاليد الحكم عند العديد من المواطنين من جميع الفئات عندما يتحدث عن تجنيد لينتولوس كل من يقابله في روما ويشعر بأنه يرغب في الثورة ويعبر عن ذلك بقوله:

Fuere tamen extra coniurationem complures, qui ad Catilinam initio profecti sunt. In iis erat Fulvius, senatoris filius, quem retractum ex itinere parens necari iussit. Isdem temporibus Romae Lentulus, sicuti Catilina praeceperat, quoscumque moribus aut fortuna novis rebus idoneos credebat, aut per se aut per alios sollicitabat, neque solum civis, sed cuiusque modi genus hominum quod modo bello usui foret.(Sall.Cat.39.5-6)

" ومع ذلك كان هناك الكثيرين من خارج المؤامرة يرغبون في الانضمام لكاتيلينا عندما بدأت الأحداث، وكان من بينهم فولفيوس، ابن أحد أعضاء السيناتوس والذي أُعيد إلى روما وأعدم بأمر والده. وبينما كان لينتولوس في روما تنفيذا لتوجهات كاتيلينا، كان يعمل بنفسه أو من خلال الآخرين على جذب هؤلاء الذين يعتقد انهم يرغبون في الثورة لأسباب شخصية أو لرغبتهم في الثراء ، ولم يكن (يجذب فقط المواطنين) بل جميع أطياف الرجال الذين يمكن أن يكونوا في خدمة المعركة ."

وبسبب كل ما سبق ونتيجة لاحتكار الأقلية بمناصب وموارد الدولة وتضيقهم على عامة الشعب وعلى مصادر رزقهم وإحكام سيطرتهم بكل الوسائل بجانب التهديدات القضائية حتى يخضع لهم باقي الشعب بشكل كامل، فترسخ

مبدأ الصراع في المجتمع وليس القانون، الذي كان يستخدمه الأقلية في الأساس لزيادة سيطرتهم وتهديد الأخرين، فكان المجتمع أشبه بساحة حرب، الجميع ينتظر الفرصة المناسبة ليتولى مقاليد الأمور ليقضى على الأخر ولينتقم منه، وتجلت تلك المظاهر بشكل خاص مع ظهور مؤامرة كاتيلينا فمن لم يكن قد انضم للمؤامرة كانت لدية الرغبة في الانضمام حتى يحظى بما حظى به الأغنياء أصحاب السلطان في روما واستأثروا به انفسهم، حتى أن بعض احد أبناء أعضاء السيناتوس تملكته الرغبة في الثورة ضد ذلك الوضع الجائر والذي بعد أن تم إعادته إلى روما وزيادة في بشاعة الأمر فقد أُعدم بأمر من والده وهو ما يشعرنا بهول الموقف. فكان لينتولوس يعمل على تجنيد كل من يرغب في الثراء أو من تتوافق أهوائه مع رياح الثورة والذين لم يكونوا فقط مواطنين عادين بل من جميع أطياف الشعب داخل المجتمع والذي اصبح قنبلة موقوتة بسبب التنافر والصراع حول السلطة والثروة.

لم يكن الفساد قاصرا على الشؤن الداخلية في روما فقط وإنما أيضا امتد خارج المدينة في الولايات مع سياستها الخارجية . وهو ما فطن إليه كاتيلينا وسرع لاستغلال ذلك الموقف وأوكل تلك المهمة لأومبرينوس، ويتحدث سالّوستيوس عن ذلك بقوله:

Postquam illos videt queri de avaritia magistratuum, accusare senatum, quod in eo auxili nihil esset, miseriis suis remedium mortem exspectare: "At ego", inquit, "vobis, si modo viri esse voltis, rationem ostendam, qua tanta ista mala effugiatis." Haec ubi dixit, Allobroges in maxumam spem adducti Umbrenum orare, ut sui misereretur.(Sall.Cat.40.34)

"وبعدما شاهدهم وهم يتذمرون من جشع القضاة ويلقون باللوم على السيناتوس لأنه لم يقدم لهم المساعدة، متطلعين للموت كحل لوضعهم المذري. عندئذ قال: لكنني سوف اعرض لكم الخطة التي تمكنكم من الخروج من هذا المأزق لو أنكم ترغبون في أن تكونوا رجال. وعندما قال ذلك انتاب الالوبورجيين أمل عظيم وتوسلوا لاومبرينوس أن يشفق عليهم."

يظهر لنا سالّوستيوس مدى تردى وسوء الأوضاع في الولايات الخاضعة للرومان، نتيجة لجشع القضاة وسوء استغلالهم للمواطنين، وكذلك عدم اهتمام السيناتوس بهم والذي تركهم فريسة لهؤلاء القضاة وحكام الولايات، حتى أصبحت حياتهم جحيم لن يخلصهم منه سوى الموت على حد قول سالّوستيوس.

وحينما كان قيصر يلقي خطبته في السيناتوس حول مصير المتآمرين وبعدما سرد بعض النماذج التي تظهر حكمة الأسلاف وإحسانهم إلى الأعداء بعد تغلبهم عليهم وعدم معاقبتهم أو التنكيل بهم كما اشرنا في المبحث الأول ،

يتوجه بعد ذلك ليسرد نموذج عن القتل والانتقام من المجرمين والذي أدى في النهاية إلى مذيد من سفك الدماء، فيسرد سالّوستيوس على لسان قيصر قوله :

Sed ea res magnae initium cladis fuit. Nam uti quisque domum aut villam, postremo vas aut vestimentum alicuius concupiverat, dabat operam, ut is in proscriptorum numero esset. Ita illi, quibus Damasippi mors laetitiae fuerat, paulo post ipsi trahebantur neque prius finis iugulandi fuit, quam Sulla omnis suos divitiis explevit.(Sall.Cat.51.33-34)

"لكن هذا الحدث كان البداية لكارثة عظيمة ، لأنه بعد ذلك كلما رغب احدما في منزل أو قصر لشخص أخر وأخيرا حتي لو رغب في أطباقه أو ملابسه فكان يمارس نفوذه لكي يدرج هذا الشخص في قوائم المنفيين، وهكذا فأن هؤلاء الذين كانوا سعداء بموت داماسيبوس فبعد ذلك بقليل هم انفسهم تم إقصائهم بعيداً ، ولم تكن هناك نهاية للمجزرة إلى أن اتخم سولّا جميع مؤيديه بالثراء".

يسرد سالّوستيوس استنكار قيصر إعدام سولّا ل داماسيبوس Damasippus رغم أن البعض رأي أنه كان يستحق الإعدام لارتكابه جرائم قتل، إلا أن قيصر كان يرى في ذلك البداية لكارثة عظيمة، فلا يمكن إيقاف الدماء بإراقة الدماء ، ففي تلك الأثناء حدث أنه كلما رغب أي شخص ذو نفوذ في ممتلكات الأخرين أو حتى أبسط الأشياء مثل الأطباق والملابس، فكان بكل بساطة من خلال نفوذة يدرج اسم هذا الشخص ضمن قوائم النفي ليتمكن من الاستيلاء على ممتلكاته وهو ما حدث بعد ذلك لهؤلاء الذين أيدوا قتل داماسيبوس، فقد أصابتهم تلك اللعنة وتم إقصائهم أيضا لكي يستولى الأخرون علي ممتلكاتهم ، وغرقت الدولة في مجزرة عظيمة لم تنتهي حتى اصبح انصار سولّا فاحشي الثراء من خلال القتل والنفي وتجريد ثروات الآخرين، وما يرمى إليه قيصر أن القصاص والقتل لا يمكن أن يوقف نزيف الدماء بل انه يرسخ لكوارث ومجازر عظيمة في المجتمع مثلما حدث في عهد سولّا، والتي أيضا من وجه نظر سالّوستيوس كانت السبب في ظهور مؤامرة كاتيلينا.

يُنظر إلى كاتيلينا على أنه النموذج الرئيسي الشاهد على فساد النبلاء، والذي سعى إلى إحراز المناصب السياسية من خلال تبنيه لقضية المضطهدين، بينما كان ذلك مجرد وسيلة لخدمة أغراضه الشخصية في الوصول إلى اعلى مراتب السلطة [١].

كان سالوستيوس مهتمًا بالأمور السياسية والحزبية وبالثراء والترف في كتاباته، فالنسبة له فشل المؤسسات السياسية يرجع إلى حد كبير للقصور

[1] Ramsey J.T.,(2007),p.8.

الأخلاقي للرجال الذين عملوا ضمن هذه المؤسسات. انصب اهتمامه على غطرسة وعنف الرجال الذين تطلعوا إلى السلطة وأساءوا استخدامها، فهو لا يهتم بالثراء من منظور اقتصادي ولا من خلال الهيكل المالي للعملية الانتخابية الرومانية، ولكنة ينظر إلى كيفية إساءة استخدام الأفراد لتلك الثروات وانعكاس تأثيرها على شخصية الأفراد الذين يمتلكون الثروات أو هؤلاء الذين يبحثون عنه من ناحية، ومن ناحية أخرى ليرى تأثير ذلك على طابع وسمات الدولة، بالنسبة لسالّوستيوس كانت هذه العناصر تفاعلية، فعندما يستعرض شخصية كاتيلينا (Docuius Moribus. C.,4.5.)) يجد أن ميولة ونزعاته قد تفاقمت بسبب الطابع الأخلاقي الفاسد للدولة (mores civitatis) والتي بدورها فسدت بسبب اثنان من الشرور الداخلية المختلفة هما التبذير والجشع[1].وهو ما يصفه سالّوستيوس بقوله:

Incitabant praeterea corrupti civitatis mores, quos pessuma ac divorsa inter se mala, luxuria atque avaritia, vexabant.(Sall.Cat.5.8)

"بالإضافة إلى ذلك فقد تم تشجيعه(كاتيلينا) بواسطة السمات الأخلاقية الفاسدة للدولة، والتي فسدت بسب الشرور الداخلية المدمرة والمختلفة، الترف والجشع".

فكان نتيجة حتمية لانتشار تلك الموبقات في المجتمع أن أدت إلى بداية الانهيار والاضمحلال فأصبحت القيم والمؤسسات هي الأسوأ مقارنه بالوضع الذى تركه عليها الأسلاف. وهو ما تجلى في قوله :

Res ipsa hortari videtur, quoniam de moribus civitatis tempus admonuit.(Sall.Cat.5.9)

" كيف كانت عظيمة الدولة حينما تركها لنا الأجداد وكيف تغيرت بالتدريج من الوضع الأكثر جمالا والأفضل إلى أن أصبحت الأسوأ والأكثر فساداً".

يصور سالّوستيوس كاتيلينا على انه مرآه تعكس صورة عصره، كما أنه يمارس ضبط النفس. فكانت قضية كاتيلينا مناسبة لغرض سالّوستيوس وأهدافه، حيث أتاحت له الفرصة ليفحص الانحلال الأخلاقي والسياسي في أواخر عهد الجمهورية الرومانية، ولقد شمل مؤلفه " حرب كاتيلينا " معظم الشخصيات القيادية البارزة في فترة حياته، كما أن المصادر التي استمد منها معلوماته كانت غزيرة وهو ما يشير إلية بنفسة، كما أن هذا المؤلف كان جدير بالملاحظة بالنسبة لسالّوستيوس بشكل خاص، وذلك بسبب طبيعة الجريمة الغير مسبوقة والخطر الذي كادت أن تحدثه في الدولة الرومانية [2].

---

[1] Batstone Wlliam W.(2010),pp.X-XI.

[2] Ramsey J.T.(2007),p.8; Sall.Cat. 4.4

تكمن أهمية " حرب كاتيلينا" ليس في ما يقُال عن كاتيلينا ولا عن طبيعة الرجال الذين يتحدث عنه سالّوستيوس بل تكمن الأهمية في ما يكمن وراء هذه المؤامرة عن روما ، والفساد الذي تشير إليه، بالنسبة لسالّوستيوس فإن كاتيلينا يمثل فقط قمة جبل الجليد بالنسبة للمشاكل المتفاقمة في روما، فظهور كاتيلينا وقيامة بهذه المؤامرة إنما هو في وجهة نظر سالّوستيوس دليل على أن روما قد سقطت بالفعل، فمحاولة كاتيلينا إنما تدل على انزلاق الجمهورية نحو الاضمحلال الذي سوف يسحق الجمهورية في وقت قريب، وذلك لأن أوضاع الجمهورية تحولت من حياة التقشف والبساطة إلى عصر الجمهورية المتأخر المملوء بمظاهر الفخامة والفساد(١).

مثلة مثل تاكيتوس فأن مؤلفات سالّوستيوس تلقي الضوء على أهمية ودور القانون في الدولة الفاضلة، إلا أن اهتمامه الرئيسي كان ينصب على الفساد في روما بسبب الجشع والترف الذى استشرى بين الأحزاب والفصائل القابلة للرشوة.

كان قيصر الراعي والنصير لسالّوستيوس في مسيرته السياسية ولذك فأن مؤلفه جاء في صالح قيصر وحزب ماريوس الذي كان يدعمه وهذا يعنى في المقابل أن يبرز هجومه واتهاماته لتجاوزات سولّا ومجلس السيناتوس. يأخذ على سالّوستيوس انه أدان بقوة سلوك مواطنيه الرومان تجاه الجشع والترف والانحرافات الأخلاقية في كتاباته بينما هو عاش حياة تتناقض جملة وتفصيلاً مع هذه المواقف الأخلاقية التي تبناها في مؤلفاته، فمن خلال المعلومات القليلة التي وردت عن حياته، نعرف أنه حكم ولاية أفريقيا الجديدة بشكل سيء للغاية فقد استغل منصبه للتربح واستغل الولاية لتكوين ثروة طائلة وهذا ما يتضح أثناء عودته إلى روما حيث وجهت إليه تهمة الابتزاز(٢). ويحتمل انه تمت تبرئته بسبب تدخل قيصر بعدما قدم رشوة له(٣). والثروة التي جمعها في ولاية أفريقيا الجديدة مكنته من أن يستمتع بحياة مترفة فخمة فوق هضبة الكويرينال Quirinal حيث امتلك المزارع الشاسعة وشيد فيها قصراً فخماً اشتهرت باسم حدائق سالّوستيوس Horti Sallustiani والتي لشدة عظمتها وفخامتها أصبحت ملكية إمبراطورية سكنها الأباطرة فيما بعد(٤).

كان سالّوستيوس يرى أن الترف Luxuria يعتبر رذيلة أبشع من الجشع Avaritia و الطموح Ambitio ؛ وهو ما يستوجب التمييز الدقيق بين

---

[1] McKinnell Ryan(2016),p.3.

[2] Cassius Dio.43.9.2.

[3] Cassius Dio.43.47.4.

[4] Kathryn F.W.(1997),p.7.

تلك الرذائل الأخلاقية؛ فالجشع والطموح يمثلان نوعين مختلفين من الرغبة المتفاقمة ، فالأول من اجل المال والثروة المادية، والأخر يمثل الرغبة النهمة نحو السلطة السياسية والمناصب العليا.

ومن ناحية أخرى فأن الترف يمثل ضرباً اكثر شراسة في الإسراف والغلو التي تدفع الرجال إلى الإنفاق إلى ما هو أبعد من الحدود التي تسمح بها إمكانياتهم المادية. ولذلك فأن الخطر الذي ينطوي علية إدخال الرفاهية في أي مجتمع تتجلى أثاره سريعا، فالخطر الكامن في الحياة الناعمة أو السهلة لا يكون بمقدار الخطر الذي يأتي جراء الدافع للإنفاق إلى ما هو أبعد من إمكانيات الأنسان. فهي عملية تؤدي حتماً إلى تراكم الديون. فحينما تتأثر الطبقة الحاكمة بهذه الرذيلة يتفاقم الخطر لأن الديون تضع المدين في موقف حساس للغاية بحيث تؤدي الديون بالشخص (إما عن طريق الجشع أو اليأس) إلى ارتكاب أفعال سياسية خطيرة. وهو ما يشير بالأحرى إلى وجود علاقة وثيقة بين رذيلة الترف ومشكلة الديون التي تلت حكم سولّا [١].

كذلك يرى سميث R.H.Smith أن سقوط الجمهورية الرومانية جاء نتيجة الانحلال الأخلاقي للطبقة الرومانية العليا[٢]. أما باديان E.Badian فقد انتقد استعادة أتباع الديكتاتور سولّا للسلطة، لعدم رغبتهم القيام بواجباتهم كما ينبغي، مما فتح الباب على مصرعيه أمام بومبيوس وقيصر[٣].

ولكن المؤرخ لينتوت A.W. Lintott يذكر السبب الذي دفع الباحثين لتبني آرائهم المختلفة المرتبطة بالانحلال الأخلاقي في أواخر عصر الجمهورية وهو أن الرخاء كان يمثل ببساطة حرية الرومان في إشباع الرغبات التي لم يتمكنوا في وقت سابق من إرضائها إلا بعد صراعات عسكرية طويلة، وبعد ذلك بقليل اكتسب الرومان نزواتهم الفاسدة من الشرق وتفشت بينهم كمرض معدي [٤].

هناك مشكله أخرى تتعلق بالوقت الذي حدثت فيه " الجشع " و" الترف " من ناحية و" الطموح " والرغبة في السلطة " من ناحية أخرى، حيث نلاحظ أن سالّوستيوس غير متناسق حول هذه النقطة، حيث يمتدح الجشع Avaratia في الفقرة الرابعة من الفصل العاشر ويصورها على أنها احدى المميزات الكامنة والتي كانت تقود نحو الطريق طوال الوقت، وبينما في الفقرة التالية أصبحت

---

[1] Brent D. Shaw(1975),p.188.

[2] Smith, R. E. (1955), The failure of the Roman Republic, Cambridge University Press, New York.

[3] Badian, E. (1970), Lucius Sulla the Deadly Reformer, Todd Memorial Lecture, Sydny , pp.28ff.

[4] Lintott, A. W. (1972) , Imperial Expansion and Moral Decline in the Roman Republic, Franz Steiner Verlag , Historia 21,pp.262-638.

هامشية وغاية في حد ذاتها في عصر سوّلا. يستمر لينتوت في إظهار أن أوجه القصور التي انتقدها المؤلفون الرومان تعود إلى ما بعد سقوط قرطاجة وحتي بعد انتصار جنايوس مانليوس، والأكثر إثارة للأعجاب هو انه يستطيع أن يبرهن على كيفية انتشار روايتين وعهدين على بداية تراجع روما[١].

جعل سالّوستيوس من " حرب كاتيلينا" منبرا لكي يعرض من خلالها بشكل موسع تأثير الترف السيء على روما بعد فترة حكم سولّا، فنلاحظ أن سالّوستيوس يصور كاتيلينا زعيم المؤامرة أحد أعضاء (الشباب الضال) Perdita Iuventus بعناية فائقة. ويجعله نموذجا لجميع الأثار الضارة بفعل الرفاهية المفرطة على صغار النبلاء في روما. حيث يظهر كاتيلينا الجشع والنهم تجاه ثروة الأخرين بينما يبدد بلامبالاة ثروته الخاصة[٢]. وفي الفقرة التي يقدم فيها سالّوستيوس كاتيلينا للقراء يحرص على أن يربط بين رغبة كاتيلينا للسيطرة على مقاليد الحكم والدولة مع رفاقه وبين ما فعلة سولّا من قبل، وعندما ينجح في الربط بين رغبات كاتيلينا وتأثره بأفعال سولّا يستعرض بعد ذلك عامل الترف، ويرى أن كاتيلينا كان يسارع نحو الاستبداد مع كل يوم يمر علية بسبب "الفقر" Inopia الذي سقط فيه نتيجة للتبذير والإسراف الفاحش [٣]. ثم يبدأ بعد فترة وجيزة في روايته في توضيح حقيقة الفقر الذي سقط فيه كاتيلينا. وهو ما يوضحه سالّوستيوس في الخطاب الذي أرسله كاتيلينا إلى القنصل كوينتوس كاتولوس Q. Catulus وفي هذه المراسلات اصبح من الواضح تماما أن " فقر الممتلكات" Inopia rei familiaris المذكور لم يكن مجرد فقر بل كان يشمل أيضًا ديون كثيرة كان كاتلينا قد تكبدها نتيجة لتبذيره المفرط. ومن خلال تلك الفقرة يبدو أن كاتيلينا كان قادراً على سداد ديونه الشخصية التي قد تعاقد عليها قبل تشكيل المؤامرة[٤]، ويذكر سالّوستيوس أن كاتيلينا لم يتخذ هذا الأجراء البائس بسبب ديونه الشخصية ولكن بسبب إقصاءه عن مجرى الحياة السياسية في روما. ويرى أن كاتيلينا صرح بذلك لكي ينكر أهمية ديونه في تشكيل المؤامرة . وهكذا يصرح سالّوستيوس بوضوح أن تلك الديون كانت الدافع الأساسي التي أدت إلى تخطيطه للمؤامرة [٥].

وبالفعل نلاحظ أن كاتيلينا بعد التشكيل الأولى للمؤامرة مباشرة لم يترك مجالاً للشك في التأكيد على أن هؤلاء النبلاء الصغار كانوا مبذرين بإسراف . فطبقاً لسالوستيوس شرع كاتيلينا في رشوة الشباب للانضمام إلي قضيته من خلال

---

1 Barbara Levick(1982),p.54.
2 Sall. Cat.12.2;13.1-5
3 Sall. Cat.5,7-8
4 Sall.Cat. 35,3
5 Sall.Cat.16.4-5

الهدايا الباهظة ولم يدخر أي تكلفة مهما كانت من أجل تحريضهم على المؤامرة [١]. لا يستخدم سالّوستيوس عامل الديون فقط ليشرح تصرفات كاتيلينا الشخصية ولكن أيضا لكي يظهر دوافع المتآمرين الأخرين الذين انضموا للمؤامرة لنفس الغرض، فجميع هؤلاء المتآمرين هم أيضا من جيل كاتيلينا، فمثلهم مثل كاتيلينا سيطر عليهم الجشع والرغبة في ممتلكات الأخرين[٢]، وبسبب التبذير المفرط بددوا ثروات عائلاتهم وعندما انهو تلك الثروات تراكمت الديون بشكل حتمي من أجل الاستمرار في تمويل نمط حياتهم الفاخرة [٣]. وبسبب استحالة سداد هذه الديون، دفعتهم بدورها إلى ارتكاب أعمال إجرامية يائسة [٤]. ومن خلال مسألة الديون، في كتابات سالّوستيوس نرى أنه كان يعمل على إظهار وتوضيح فكرته ورؤيته حول الانحدار الأخلاقي في روما في القرن الأخير من عهد الجمهورية. يحدد سالّوستيوس عملية الاضمحلال بفترتين: يحدد الفترة الأولى بظهور الجشع ، ثم بدأت الفترة الثانية بظهور الترف والتي بدورها أدت مباشرة إلى مشاكل الديون في روما بعد فترة حكم سولّا.

ويجدر القول أن ظاهرة الترف والديون أصبحت قاعدة لتفسير الأحداث التاريخية، وكذلك ظاهرة الجشع والطموح تفسر مسار الحياة السياسية في فترة دكتاتورية سولّا. وبناء علية، يمكن أن تتضح الدوافع الحقيقية للمواطن أو المواطنين من خلال ظاهرة الترف والديون التي طرأت على المجتمع الروماني في الفترة التي تلت ديكتاتورية سولّا [٥].

---

[1] Sall.Cat. 14.6

[2] Sall. Cat.12.2

[3] Sall. Cat,14.2 ;37.5

[4] Sall. Cat.13.4

[5] Brent D. Shaw ,(1975),pp.190-193.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

Appian , Roman History, the Civil wars, Translated by Horace W., Harvard University Press, London,1913.

Cassius Dio, Dio's Roman History (vol.VI), Tran.by Ernest Cary, William Heinemann, London, L.C.L ,1957.

Cicero, Against Catiline and Antony and for Murena and Milo, translated by Herbert E. D.B., Methuen and co., London.1894.

Plutarchus, Agesilaus,Pompey,Pelopidas,Marcelius, Translated by Bernadotte Perrin, William Heinemann, London, L.C.L,1917.

Sallust, The war with Catiline; the war with Jugurtha, Vol.1,Trans.by J.C. Rolfe, Edit. By John T. Ramsey, Harvard university press, L.C.L, Cambridge. 2013.

المراجع:

Badian E. (1962), Review: Earl; the political thought of Sallust , Verlag C.H.Beck, Gnomon,34,Bd.,H.5(sep.), pp.463-466.

Badian E. (1970), Lucius Sulla the Deadly Reformer, Todd Memorial Lecture, Sydny .

Barbara Levick (1982)," Morals ; Politics, and the fall of the Roman republic, " Cambridge university press on behalf of the Classical Association, Greece and Rome, Vol.29.No1(Apr.)p.53.

Batstone Wlliam W.(2010),Sallust,Catiline's Conspiracy, The Jugurthine War, Histories , Oxford University Press, New York.

Brent D. Shaw(1975), Debt in Sallust , Societe d'Etudes Latines de Bruxelles, Latomus , T. 34, Fasc. 1(Janvier- Mars),pp.187-196.

Kathryn Fr. W. (1997), A Narratological study of Sallust's Bellum Catilinae, Ph.D., University of Virginia, Department of Classics.

Lintott, A. W. (1972), Imperial Expansion and Moral Decline in the Roman Republic, Franz Steiner Verlag , Historia 21,pp.262-638.

McKinnell Ryan(2016), "Deeds or Words? Sallust and Tacitus on the Virtuous Citizen in Time of Political Corruption",C.P.S.A.C., Alberta , Concordia university,pp.1-13.

Ramsey John.T.(2007),Sallust's Bellum Catilinae , Oxford University , USA.

Smith, R. E. (1955), The failure of the Roman Republic, Cambridge University Press, New York.